سرُّ التَّعبيرِ بالحشرِ دونَ الجمعِ:

مَـــنْ أوجـــد الخَلْق مِن عدم في البـدايـة، لا يعـجـزه البعثُ والـحـشـرُ في النّهاية

التَّعبيرُ بالحشرِ يفيدُ الجمعَ مهما يكنِ العددُ، ومهما تناثرت الأجزاءُ، أو تباينت، أو تداخلت في الأجسام، فاللّهُ يحشرُ كلَّ عضوٍ، ويجمعهُ مع بقيَّةِ أجزائهِ، وعلى هذا فالحشرُ جمعٌ مع شدَّةِ الضّيق وتزاحمِ الأجزاءِ.

سرُّ اختلافِ التَّعبيرِ بين كونه يَحول بين المرء وقلبه، ويعلم ما في الأنفس:

الله تعالى يعلم خبايا النّفوس، ودواخلَ القلوب

قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾، وبين قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾، نجد اختلافَ التَّعبير في الآيتين؛ لأنَّ آيةَ البقرةِ يسبقُها الحديثُ عن عدَّةِ المتوفَّى عنها زوجُها، وحَظَرَ المواعدةَ سرًّا إلّا بالقولِ المعروفِ، ونهى عن عزمِ العقدِ قبلَ بلوغِ الكتابِ أجلَهُ، ومعلومٌ أنَّ أمورَ الشَّهوةِ غالبةٌ في هذا المجالِ بين الرَّجُلِ والمرأةِ، فأرادَ قطعَ هواجسِ التَّساهلِ والتَّناجي، فناسبَ ذلك التَّهديدُ بعلمِ ما في النُّفوسِ. أمّا آيةُ الأنفالِ؛ فقد بُدِئَتْ بطلبِ الاستجابةِ لما يجدِّد الحياةَ، وقد يتوهَّمُ عدم القدرةِ على تغييرِ الحالِ؛ لذلك ناسبَ ما يدلُّ على لطيف قدرتهِ سبحانه بأنَّه يحولُ بينَ المرءِ وقلبهِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المرء والرَّجُل:

المـــرءُ: الـرَّجُـلُ مع تحقُّقِ أدبِ النَّفْس

قولُنا: رجلٌ، يُفيدُ القوَّةَ على الأعمال، ولهذا يُقالُ في مَدْحِ الإنسانِ: إنَّه رَجُل.

والمرْءُ: الرَّجُل، يُفيد أنَّه أدَبُ النَّفْسِ، ولهذا يُقال: المروءةُ أدَبٌ مخصوصٌ، وهي كمالُ المرْءِ، كما أنَّ الرُّجولةَ كمالُ الرَّجُلِ[1].

(1) العسكريّ، الفروق، ص: 249، والرّاغب، المفردات، ص: 766.

(تُحشَرون) و(تُرجعون):

الحَشْرُ: هو الجمعُ مع السَّوْقِ، والشّاهدُ قولُهُ تعالى: ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشُّعراء: 36]، ومنه: يومُ الحَشْرِ؛ لأنَّ الخَلْقَ يُجمَعونَ فيه، ويُساقونَ إلى الموقف، والأصْلُ في الحَشْرِ لغةً: إخراجُ الجماعةِ عن مقرِّهم، وإزعاجُهم، وسَوقُهم إلى الحربِ ونحوِها[1].

الحَشْرُ: جمعٌ مع سَوْقٍ، والإخراجُ مِنَ المقرِّ مع الإزعاج، وهو حالُ النّاسِ يومَ البعث

والرُّجوع: فعلُ الشَّيءِ ثانيةً، ومصيرُه إلى حالٍ كانَ عليها، أو تقديرُ البَدْءِ مكانًا كانَ أو فعلًا أو قولًا، وبذاته كانَ رجوعُه أو بجزءٍ من أجزائه، أو بفعلٍ من أفعاله، فالرُّجوعُ: العَوْدُ، والرَّجعُ: الإعادةُ[2].

(دعاكم) و(ناداكم):

عبَّرَ القرآنُ الكريمُ بالدُّعاءِ دونَ النِّداءِ في قوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ مع وجودِ تقاربٍ بين الكلمتين، إلا أنَّه آثرَ التَّعبيرَ بالدُّعاءِ؛ ولأنَّ الدُّعاءَ يكونُ بلفظ الطَّلبِ سواءٌ كان معه نداءٌ، أم لم يكن، بخلافِ النِّداء، ولأنَّ الدُّعاءَ أخفُّ من النِّداءِ، لكلِّ ذلك آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالدُّعاءِ دونَ النِّداءِ[3].

الدُّعاءُ: طلبُ الفعل، والنِّداءُ: إجابةٌ للصَّوتِ، والدُّعاءُ للقريبِ والنِّداءُ للبعيدِ

(1) العسكريّ، الفروق، ص: 188 - 189، والرّاغب، المفردات، ص: 237.

(2) العسكريّ، الفروق، ص: 250، والحسيني، الكلّيات: 390/2، والجرجاني، التَّعريفات، ص: 114.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 108/2.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تعقيبُ النِّداءِ والأمرِ يؤكِّدُهُ النَّهيُ عنِ الظَّنِّ، بتركِ الظّالمِ دونَ عقابٍ

لمّا ذكرَ في الآية السّابقةِ الأمرَ بالاستجابةِ للّهِ ولرسولِه، فربَّما ظنَّ المجيبُ أنَّه لا يلزمه إلّا نفسُه، وليس عليه تعريضُ نفسِه للأذى، بالأخذِ على يدِ من لم يستجبْ للّهِ ولرسولِه؛ نبَّهَ في هذه الآيةِ على أنَّ ذلكَ منابذةٌ للدّينِ، واجْتثاثٌ له من أصلِه؛ لأنَّ تركَ العاصي على عِصْيانِه كَتَرْكِ الكافرِ على كُفرانِه، وذلكَ موجبٌ لعمومِ البلاءِ، ومزيدِ القضاءِ[1]، وممّا يذكرُ في المناسبة - أيضًا - أنَّه لمّا حذَّر اللّهُ تعالى الإنسانَ في الآيةِ السّابقةِ من أنَّهُ يحولُ بينهُ وبينَ قلبِهِ؛ حذَّره في هذه الآيةِ من الفتنِ، فكأنَّهُ قالَ: احذروا فتنةً إن نزلت بكم؛ لم تقتصر على الظّالمين خاصَّةً، بل تتعدَّى إليكم جميعًا، وتصلُ إلى الصّالحِ والطّالحِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فِتۡنَةٗ﴾: أصلُ الفَتْنِ: إدخالُ الذَّهبِ النّارَ لِتَظهرَ جَوْدتُه من رداءتِه، واستُعملتِ الفتنةُ في إدخالِ الإنسانِ النّارَ، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾، وتأتي الفتنةُ بمعنَى العذاب، قالَ تعالى: ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ [الذّاريات: 14]، أي: عذابَكم، وتأتي بمعنى الاختبارِ، وجُعِلَتِ الفتنةُ كالبلاءِ في أنَّهما يُستعمَلانِ فيما يُدفَعُ إليه الإنسانُ من شِدَّةٍ ورَخاء، وهما في الشِّدَّة أظْهرُ معنىً وأكثرُ اسْتعمالًا، وقد قالَ فيهما ﷻ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء: 35]. وقولُه تعالى:

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 256/8، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 316/9.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 138/8.

﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحديد: 14]، أي: أوقعتُموها في بَليَّةٍ وعذاب[1]، وعلى هذا قولُه هنا: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾، أي: اختبارًا وبلاءً[2].

2) ﴿تُصِيبَنَّ﴾: يُقالُ: أصابَ كذا، أي: وجدَ ما طَلَبَ، كقولكَ: أصابَه السَّهمُ، وأصابَ الَّذي قصَدَه، أي: وجدَه، والصَّوْبُ: الإصابةُ، يُقالُ: صابَهُ وأصابَه، أصابَ السَّهمَ؛ إذا وصلَ إلى المَرْمَى بالصَّواب، والمصيبةُ أصْلُها في الرَّمية، ثمَّ اخْتُصَّتْ بالنّائبةِ، كما في قولِه تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ [النِّساء: 62]، وأصابَ جاءَ في الخير والشَّرِّ، قالَ تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ [التَّوبة: 50][3]، ومن الثّانيةِ قولُه هنا: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ أي: تصيبُ الصّالحَ والطّالحَ[4].

3) ﴿خَآصَّةً﴾: التَّخصيصُ والاختصاصُ والخُصوصيَّةُ والتَّخصُّصُ: تفرُّدُ بعضِ الشَّيءِ بما لا يُشاركُهُ فيه الجُملةُ، وذلكَ خلافُ العُموم، والتَّعمُّم، والتَّعميم، والخاصَّةُ: ضدُّ العامَّة، وقد خصَّه بكذا يخصُّه، واخْتصَّه يختصُّه، قالَ تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: 74][5]، وقولُه تعالى هنا: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾، أي: هي عامَّةٌ لا تختصُّ إصابتُها بما يباشِرُ الظُّلمَ منكم[6].

المَعْنى الإجْماليُّ:

يُحذِّرُ اللّهُ تعالى عبادَه المؤمنين اختبارًا ومِحْنَةً يَعمُّ بها المسيءَ وغيرَه، لا يَخُصُّ بها أهلَ المعاصي ولا مَنْ باشرَ الذَّنبَ، بل يُعمِّمُها

الفتنةُ لا تصيبُ أهلَ المعاصي فحسب، وإنَّما تَعمُّ مَن معهم عندَ عدم رَدْعهم عنها

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 623 - 624، وابن منظور، اللّسان: (فتن).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 218/9.
(3) الرّاغب، المفردات، ص: 495 - 496.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 274/2، والشَّوكاني، فتح القدير: 431/2.
(5) الرّاغب، المفردات، ص: 284، وابن منظور، اللّسان: (خصص).
(6) الشَّوكاني، فتح القدير: 431/2.

حيثُ لم تُدفعْ، وتُرفع[1]، كالفتنِ الَّتي تهدُّ كيانَ الأمَّةِ، وتزعزعُ أركانَها، وكظهورِ البدعِ والمنكراتِ، ونحو ذلكَ، فهذهِ فتنٌ لا تصيبُ أصحابَها فقط، بل تلتهم نيرانُها الأمَّةَ جميعًا؛ لذلك حذَّرَ اللهُ منها، وشدَّد العقوبةَ على من خالفَ أمرَهُ، فهو معاقِبُهُ في الدُّنيا والآخرة[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دَلالةُ العطفِ بالواوِ في قولِه: ﴿وَٱتَّقُواْ﴾:

بيان تأكيدِ التزامِ التَّقْوى، باعتبارها محور العبادة والمعاملة

جاءَ العطفُ بالواوِ في قولِه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ على نَسَقِ ﴿ٱسْتَجِيبُواْ﴾ و﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾؛ لأنَّ الاستجابةَ للهِ وللرَّسولِ، والعلمَ بأنَّ اللهَ يحولُ بين المرءِ وقلبِه، يولِّدانِ التَّقوى في النُّفوسِ، فأخبرَهم: إن لم تتَّقوا اللهَ؛ تعُمَّكم فِتْنَتُهُ[3].

بلاغةُ الافْتتاحِ بالأمرِ ﴿وَٱتَّقُواْ﴾:

التَّحذيرُ من الوقوعِ في فِتنةٍ إنْ لم تتحقَّقِ التَّقوى

صُدِّرتِ الآيةُ الكريمةُ بالأمرِ بالتَّقوى تحذيرًا لهم خشيةَ أنْ تُصيبَهم فتنةٌ، تضطربُ بها أحوالُهم، ويَختلُّ بها نظامُ جماعتِهم، فيفشَلوا، وتذهبَ ريحُهم[4].

دَلالةُ التَّنكيرِ في لفظ ﴿فِتْنَةً﴾:

التَّنكيرُ لإفادةِ العُمومِ، مبرز للمعنى الموجود

دلَّ التَّنكيرُ في قولِه: ﴿فِتْنَةً﴾ على العمومِ، أي: عمومِ معنَى ﴿فِتْنَةً﴾، فقد تكونُ إقرارًا للمُنكَرِ بينَ أظْهُرِهم، أو افتراقَ الكلمةِ بينَهم، أو عذابًا ينزلُ بساحتِهم، أو عقوبةً جاريةً على سَنَنِ اللهِ في عقوباتٍ تحصُلُ بحوادثَ كونيَّةٍ تُسبِّبُ هلاكًا أو دمارًا أو ترويعًا يعمُّ الصّالحَ مع الطّالحِ[5].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 274/2.
(2) الحجازيّ، التّفسير الواضح: 104/9.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 256/8.
(4) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 515/2، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 316/9.
(5) الزَّمخشري، الكشّاف: 152/2، وأبو حيّان، البحر المحيط: 304/5.

تنوُّعُ الإعرابِ في موقعِ الجملةِ ممّا قبلَها:

قولُه تعالى: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ فيه وُجوهٌ إعرابيَّةٌ عديدةٌ:

(لا تُصيبَنَّ) جوابٌ للأمرِ، أو نَهْيٌ بعدَ أمرٍ، أو صفةٌ لـ(فِتْنَةً)

أن يكونَ جوابًا للأمرِ، أو نهيًا بعد أمرٍ، أو صفةً لفتنةٍ.

فإذا كان جوابًا؛ فالمعنَى: إنْ أصابتْكم فتنةٌ لا تُصيبُ الظّالمينَ منكم خاصَّةً، ولكنَّها تعمُّكم، وإذا كانت نهيًا بعد أمرٍ، فكأنَّه قيل: واحْذروا ذَنْبًا أو عقابًا، ثمَّ قيل: لا تَعرَّضوا للظُّلم، فيصيبَكم العقابُ، أو أثَرُ الذَّنْب، ووَبالُه على مَنْ ظلمَ منكم خاصَّة، وإذا كانَ صفةً لفتنةٍ على إرادةِ القول، كأنَّه قيل: واتَّقوا فتنةً مَقولًا فيها: لا تُصيبَنَّ، وإذا قيلَ: كيفَ جازَ أنْ تدخُلَ النّونُ المؤكَّدةُ في جوابِ الأمر؟

الجوابُ: هو أنَّ فيه معنَى النَّهْي، فإذا قيل: انْزِلْ عن الدّابةِ لا تَطْرَحكَ، جازَ أن يُقالَ: لا تَطْرَحنَّكَ، وكذلكَ هنا: لا تُصيبَنَّ[1].

دَلالةُ ﴿لَا﴾ النَّهي، في سياق الآية:

(لا) للنَّهْي في السّياق الحكيم

حرفُ (لا) في قولِه تعالى: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ نَهْيٌ بقرينةِ اتِّصالِ مَدْخولِها بنونِ التَّوكيدِ المختصَّةِ بالإثْباتِ في الخبرِ وبالطَّلب، إذْ جَعْلُ (لا) هنا للنَّفي فيه شذوذٌ؛ لأنَّ النُّونَ لا تدخُلُ المنفيَّ في غيرِ القَسَم[2].

دَلالةُ توجيهِ النَّهي للفتنةِ، وهي مِنَ المعاني لا المباني:

المـرادُ تحذيرُ المخاطَبِ مِنَ الأمرِ المنهيِّ عنه بطريقِ الكنايةِ

توجَّهَ النَّهيُ للفتنةِ بما اقْتضاهُ مقامُ المبالغةِ من التَّحذيرِ هنا والاتِّقاءِ من الفِتْنة، فأكَّدَ الأمرَ باتِّقائِها بنَهْيِها هي عن إصابتِهم إيّاهم مع أنَّها من المعاني لا المباني؛ لأنَّ هذا النَّهيَ من أبْلَغِ صيَغِ النَّهي بأنْ يوجَّهَ النَّهيُ إلى غيرِ المرادِ نَهْيُهُ، تنبيهًا له على تحذيرِه من الأمرِ المنهيِّ عنه في اللَّفظ، والمقصودُ تحذيرُ المخاطَبِ بطريقِ

(1) الفرّاء، معاني القرآن: 407/1، والزَّمخشري، الكشّاف: 152/2 - 153، وابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 515/2.

(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 515/2، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 482/2، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 317/9.

الكناية؛ لأنَّ نهيَ ذلكَ المذكورِ في صيغةِ النَّهي يستلزمُ تحذيرَ المخاطَبِ، فكأنَّ المتكلِّمَ يجمعُ بين نَهيَيْن، ومنه قولُ العرب: لا أعْرِفنَّكَ تفعَلُ كذا، فإنَّه في الظّاهر المتكلِّمُ نَفْسُه عن فعلِ المخاطَب، ومنه قولُ اللّهِ تعالى: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: 27]، ويُسمَّى هذا بالنَّهْيِ المحوَّل، فلا ضميرَ في النَّعتِ بالجُملةِ الطَّلبيَّة[1].

وجهُ المعنَى على كونِ ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾، جملةً اسْتئنافيَّةً:

تـأكـيـدُ الأمـرِ باتِّقاءِ الفِتنَةِ معَ زيـادةِ التَّحذيرِ بشُمولِها

يجوزُ أنْ تكونَ جملةُ: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ نَهْيًا مُسْتَأنَفًا؛ تأكيدًا للأمرِ باتِّقاءِ الفَتنةِ مع زيادةِ التَّحذيرِ بشمولِها مَنْ لم يكن من الظّالمين[2].

دَلالةُ التَّعبيرِ بالمفعولِ به اسْمًا موصولًا:

الاسم الموصولُ لإفـادةِ تأكيدِ وقوعِ الفِتْنة

أفادَ سَوْقُ المفعولِ به ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسْمًا موصولًا تأكيدَ وقوعِ الفتنةِ بالظّالمينَ، وتعدّيها لمن سكتَ عنِ الظّالمين حَصْرًا لهاتَيْنِ الفئتَيْن بالعقاب، ومبالغةً في التَّحذيرِ من هذه الفِتْنةِ.

دَلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿مِنكُمْ﴾:

الـظُّـلـمُ مـن المؤمـنـينَ أقبحُ منه من غيرِهم

(مِن) في قولِه: ﴿مِنكُمْ﴾ للتَّبعيضِ أو للتَّبيين، وفائدتُه: التَّنبيهُ على أنَّ الظُّلمَ منكم أقْبحُ منه من غيرِكم[3].

دَلالةُ عدمِ إصابةِ الظّالمينَ بالفِتْنةِ وحدَهم:

مَـنْ لا يُـنـكِـرْ عـلى الـظّـالمين ظُلمَهم، ويَرْكَنْ إليهم؛ تُصبْهُ الفِتْنةُ

دلَّ سياقُ الآيةِ على أنَّ الفتنةَ لا تختصُّ إصابتُها بمَن يُباشِرُ الظُّلمَ منكم؛ بل يعمُّه وغيرَه، كإقرارِ المنكَرِ بينَ أظْهُرِهم، والمداهَنَةِ في الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر، وافْتراقِ الكلمة، وظُهورِ البِدَع، والتَّكاسُلِ في الجهادِ في سبيلِ اللّه، والرُّكونِ إلى الظّالمين، وغيرِ ذلك ممّا تستغرقُ معانيه كلمةَ الظُّلم[4].

---

(1) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 515/2، وأبو حيّان، البحر المحيط: 305/5، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 318/9.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 482/2، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 318/9.

(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 482/2.

(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 482/2.

دَلالةُ التَّأكيدِ على عدَمِ إصابةِ الظّالمينَ وحدَهم:

المقصودُ بالتَّحذيرِ هم المؤمنونَ

اسْمُ فاعلٍ مؤنَّثٌ لجَرَيانِه على فِتْنةٍ، فهو مُنتصِبٌ على الحالِ من ضميرِ ﴿تُصِيبَنَّ﴾، وهي حالٌ مفيدةٌ هنا؛ لأنَّها المقصودُ من التَّحذيرِ، والأصلُ في هذا أنْ تكونَ ﴿خَآصَّةً﴾ نعتًا لمصدرٍ محذوفٍ، تقديرُه: (إصابةً خاصَّةً)، فهي نَصْبٌ على الحالِ لَمّا انْحذفَ المصدرُ من الضَّميرِ في ﴿تُصِيبَنَّ﴾، وهذا الفعلُ هو العاملُ، ويمكنُ أنْ تكونَ حالًا من الضَّميرِ في ﴿ظَلَمُواْ﴾[1].

سرُّ التَّعبيرِ بقولِه: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾:

السَّكوتُ على الظُّلمِ مشاركةٌ سكوتيَّةٌ فيهِ

جاء التّعبيرُ القرآنيُّ بقولِه: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾، بهذا التَّركيبِ دونَ غيرِه؛ لأنَّه يحملُ دعوةً إلى التَّناصُحِ بين المؤمنين، وإلى التَّناهي فيما بينهم عن المنكرِ، وإلّا فإنَّ سكوتَ السّاكتين منه عن ظلمِ الظّالمين، وبغيِ الباغين هو اعترافٌ ضمنيٌّ بهذا الظُّلمِ وإجازةٌ له، ومن هنا لم يكن ما يحلُّ بالظّالمين من بلاءِ اللّهِ ونقمتِه واقعًا بهم وحدَهم، بل يصيبُهم، ويصيبُ من رآهُم، ولم ينكر عليهم؛ لأنَّ المجتمعَ الإنسانيَّ جَسَدٌ واحدٌ، وما يصيب بعضَهُ من فسادٍ وانحلالٍ لا بدَّ أن يتأثَّرَ به المجتمعُ كلُّهُ، فكان مِنَ الحِكمةِ دفعُ الشَّرِّ ومحاربتُهُ في أيِّ مكانٍ يطلُّ بوجهِه، فإذا قصَّروا في أداءِ هذا الواجبِ في محلِّ المؤاخذةِ والمعاقبةِ، أصابهم جميعا ما حذَّرتْ منه الآية، ولم يقتصر العقاب على العُصاة وحدهم[2].

دلالةُ جملةِ الصِّلةِ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ دونَ الظَّلَمَةِ:

الظُّلمُ مَناطُ التَّحذيرِ ومدارُهُ

عبَّر بجملةِ الصِّلةِ للإشعارِ بعلَّةِ التَّحذيرِ، وأنَّه بسببِ الظُّلمِ، وأيضًا؛ لأنَّ الذين يسكتون عن المنكرِ، ظلموا أنفسَهم، وظلموا دينَهم، وظلموا مجتمعَهم.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 306/2، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 318/9، ورجَّح ابن عطيَّة الوجهَ الأوَّل، يُنظر: ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 516/2.

(2) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 589/3.

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿خَآصَّةً﴾:

عـلّـة عـقـاب الظّالم الفاعل، ومـن لـم يفعل أيضًا

في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾، عبَّرَ فيه بقولِه: ﴿خَآصَّةً﴾، للإشارةِ إلى دفْعِ توهُّمٍ في خاطرِ بعضِهم بأنَّ العذابَ مقصورٌ على الّذين ظلموا فقط، فأزالَ القرآنُ الكريمُ هذا الفهمَ الخاطئَ، وبيَّنَ عمومَ العقابِ للظّالمِ والمظلومِ.

دَلالةُ الواوِ في: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾:

معـنـى عـطـف مضمونِ جُملةِ (واعْلَـمـوا) على مـضـمـونِ ما قَبلَها

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ عَطَفَتْ مضمونَ هذه الجملةِ على مضمونِ الجملةِ الَّتي قبلَها، فيكونُ عطفُها عليها عطفَ التَّكملةِ على ما تُكمِّلُهُ، وكأنَّ بيانَ اللّهِ، قال: الفتنةُ تُصيبُ الَّذين باشَروا الظُّلمَ، والَّذينَ سَكَتوا عنهم، أو رَكَنوا إليهم، وهؤلاء سيصيبُهُمُ العقابُ الشَّديدُ من اللّهِ، ويمكنُ عطفُ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ هنا على ما تقدَّمَها في قولِه تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: 24]، فمنْ حالَ اللّهُ بينَه وبينَ قلبه؛ فإنَّ مصيرَه إلى عقابِ اللّهِ، أو أنَّ الحَوْلَ بين المرْءِ وقلبِه فتنةٌ؛ فاتَّقوا اللّه في هذه الفتنةِ أن تُصيبَكُم[1].

دَلالةُ التَّعبيرِ بفعلِ الأمرِ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾:

الظُّـلـمُ يقتضي شـدَّةَ التَّحذيرِ منهُ

افتَتَحَ بيانُ اللّهِ تعالى جُملةَ: واعْلَموا أنَّ اللّه شديدُ العقابِ بفعلِ الأمرِ بالعلم للاهْتمامِ لِقَصْدِ شدَّةِ التَّحذيرِ[2].

دَلالةُ التَّعبيرِ بالمفعولِ بِهِ جملةً مؤكَّدةً:

إنَّ الَّذين ظَلموا والـسّـاكـتـينَ عـنـهـم سـواء؛ لتركهم النّهيَ عنِ المنكر

جاءَ التَّعبيرُ بالجُملةِ المؤكَّدةِ لبيانِ أنَّه تعالى شديدُ العقابِ - لا محالةَ - لمن يُخالفُ أمرَهُ بارْتكابِ الظُّلم أو السُّكوتِ عنه، وفي هذا عَوْدٌ على قولِه السّابق: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾، فذلكَ يَشمَلُ مَنْ يُخالفُ الأمرَ بالاسْتجابةِ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 314/9.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 318/9.

سرُّ العُدولِ عنِ الإضمارِ إلى الإظهارِ:

الاسْمُ الجليلُ (اللـه) يَـزرعُ المَهابةَ في النُّفوسِ، ويُنفِّرُها مِنَ الظُّلمِ

في قولِه: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، ذُكِرَ اسْمُ الجلالةِ ﴿ٱللَّهَ﴾ لِزَرْعِ المهابةِ في القلوب، والتَّحذيرِ الشَّديدِ من الوقوعِ في مغبَّةِ الظُّلمِ أوِ السُّكوتِ عنه وعن أهلِه، فإنَّ اللّٰه شديدُ العقابِ.

دَلالةُ التَّعبيرِ بالمسنَدِ مُعرَّفًا بالإضافةِ:

التَّعريفُ بالإضافةِ للمبالغةِ في شدَّةِ عقابِ اللهِ

في قولِه تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ عُرِّفت ﴿شَدِيدُ﴾ بإضافتِها لـ ﴿ٱلۡعِقَابِ﴾ للمُبالغةِ في بيانِ عقابِ اللّٰهِ، وشدَّتِه على الظّالمين، ومَنْ وافقَهم، أو سَكَتَ عنهم، أو رَكَنَ إليه[1].

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ دونَ (شديدِ العذابِ):

تحذيرُ المتَّقين يناسبُه التَّخويفُ من شدَّةِ العقابِ

آثرَ التَّعبيرُ القرآنيُّ ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ دون شديدِ العذابِ؛ لأنَّ الآيةَ بُدِئَت بالأمرِ بالتَّقوى، ومن لوازمِ التَّقوى العلمُ بشدَّةِ ما ينتظرُ الظّالمَ والمخالفَ لأوامرِ اللّٰهِ العقابَ المعدَّ لهُ؛ لأنَّ العقابَ، يأتي بعد ارتكابِ جرمٍ شديدٍ يهدِّدُ كيانَ الأمَّةِ، كما في هذه الآية.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

فِتْنة وبَلاء:

الفتنةُ: أشدُّ البلاءِ، وفيها معنَى الاختبارِ والعذابِ

البلاءُ يكونُ ضررًا، ويكونُ نفعًا، وإذا أردْتَ النَّفعَ؛ قلتَ: أبْليتُه، وفي القرآن: ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ [الأنفال: 17]، ومن الضُّرِّ بَلَوْتُه، وأصلُه أن تختبرَه بالمكروهِ، وتستخرجَ ما عندَه من الصَّبر به، ويكونَ ذلكَ ابتداءً[2].

والفتنةُ فيها معنَى الاخْتبارِ؛ لأنَّها مَأخوذةٌ من إدْخالِ الذَّهبِ النّارَ لاخْتبارِ جَوْدتِه من رَداءتِه، وتُستعمَلُ بمعنَى البلاءِ فيما يُدفَعُ إليه الإنسانُ من الشِّدَّةِ والرَّخاء، وفي الشِّدَّةِ أظْهرُ وأكثرُ اسْتعمالًا، وتأتي الفتنةُ بمعنى العذابِ[3].

---

(1) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 516/2.

(2) العسكري، الفروق، ص: 105، والرّاغب، المفردات، ص: 145.

(3) الرّاغب، المفردات، ص: 623 - 624، وابن منظور، اللّسان: (فتن).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»